البعد الحجاجي لرسالة إلى الكتاب لعبد الحميد الكاتب

الأستاذة : بولفعة و افية

المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة -

Resumé :

L'émetteur produit son discours en vue de convaincre son interlocuteur. Pour ce faire, il adopte une stratégie pragmatique appelée " l'argumentation", cette base principale à laquelle il étudie la méthode et le style de parler. Dans notre travail, nous visons à étudier un discours faisant partie de l'art de la lettre notamment la lettre dirigeante (une forme d'expression visant à diriger ou orienter les gens à travers des directives et des consignes) et tout à fait différent de la narration ou du prêche. Ainsi, notre corpus n'est autre qu'une des lettres de l'écrivain Abdelhamid AlKateb où il s'est adressé aux écrivains. Nous mettons en exergue les dimensions argumentatives et persuasives de cette lettre en étudiant l'ensemble des techniques adoptées par Abdelhamid afin qu'il aboutisse à ses objectifs argumentatifs.

الكلمات المفتاحية : الرسالة التوجيهية – آليات الحجاج – عبد الحميد الكاتب - الغرض الحجاجي

مقدمة :

مهما كان شكل الخطاب الأدبي و جنسه فإنّ له دورا في تقريب وجهات النظر و إيضاح الحقائق و توجيه الناس صوب الوجهة التي يرتضيها صاحب الخطاب ، و الرسالة من الأجناس الأدبية التي تستخدم كشكل من أشكال التعبير و التواصل يرمي من خلالها المرسل إلى تحقيق أهدافه و مقاصده ، ومن الأغراض التي تحملها الرسالة غرض النصح و الإرشاد يهدف صاحبها إلى توجيه النصائح و التعليمات و الإرشادات لفئة من النّاس و دعوتهم للقيام بعمل معين أو تركه أو اتّخاذ موقف أو تنفيذ أمر بغية الإقناع و التأثير ، و لتحقيق هدف الإقناع يتبنّى المرسل إستراتيجية تداولية تعرف بالحجاج الذي يعنى بدراسة الطريقة و الأسلوب اللذين يتبنّاهما المتكلم للتغيير من معتقدات المتلقي و إقناعه بالموضوع المراد إيصاله .

و الرسالة فن عريق في الأدب العربي وضع أصولها و أطالها و فصّلها "عبد الحميد بن يحي" الملقّب بالكاتب ، برع في كتابتها حتى غدت رسائله مضرب المثل في الجودة والإتقان ، وقد وقع اختيارنا على إحدى رسائله و هي رسالته " إلى الكتّاب " لمقاربتها في ضوء آلية الحجاج و الوقوف على بعدها الحجاجي و الإقناعي باعتبارها رسالة توجيهية تتضمّن مجموعة من النصائح و الإرشادات الغرض منها التأثير في الكتّاب وحملهم على الإذعان لها ، و بما أنّها رسالة توجيهية فهل تتضمّن الطاقة الحجاجية اللازمة للتأثير و الإقناع ؟ و إن وجدت فما هي الآليات و التقنيات الحجاجية التي اعتمدها عبد الحميد الكاتب لتحقيق ذلك ؟

و سنسعى إلى الإجابة عن هذه الإشكالية من خلال تحليل الرسالة تحليلا حجاجيا بالاعتماد على أهم آليات و تقنيات الحجاج ، لكن لابدّ أوّلا من الوقوف على مفهوم الحجاج و ماهيته من خلال تعريفه اللغوي و الاصطلاحي .

1- تعريف الحجاج :

أ- لغة : يعرّف ابن منظور الحجاج قائلا : " يقال حاججته أحاجه حجاجا و محاجة حتى حججته أي غلب بالحجج التي أدليت بها و الحجة البرهان ، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم ، الحجة هو الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة و هو رجل محجاج أي جدل و حاجه محاجة و حجاجا نازعه بالحجة ، وحجه يحجه حجا عليه غلبه على حجته " [1] ، أمّا ابن فارس في مقاييسه يعرّف الحجاج على النحو الآتي : " حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة و ذلك الظفر يكون عند الخصومة والجمع حجج و المصدر حجاج " [2]

يظهر لنا من خلال هذين التعريفين أنّ الحجاج في معناه اللغوي يحمل طابع المنازعة و الخصومة ، و الحجة يستخدمها المتكلم كوسيلة للتغلب على خصمه .

ب- اصطلاحا : وردت تعريفات عديدة للحجاج أهمّها تعريف " طه عبد الرحمن" الذي يعرّفه انطلاقا من مبدأين أساسين هما " قصد الادّعاء " و " قصد الاعتراض" إذ يقول : " إنّ حدّ الحجاج أنّه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له

---

[1]- ابن منظور : لسان العرب ، تحق : أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، دت ، ط3 ، ج3 ، مادة حجج ، ص53.

2 - ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، 1979 ، دط ، ج2 ، مادة حجج ، ص29- 30.

الاعتراض عليها " [1] نفهم من خلال هذا التعريف أنّ الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين المتكلّم و المستمع حول قضية ما ، متكلّم يدعم قوله بالحجج لإقناع الغير و المستمع له حق الاعتراض عليه إن لم يقتنع " .

و يعرّفه عبد الهادي بن ظافر الشهري بربطه بالإقناع فيقول : " الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها و تتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع " [2]

و يرى دومينيك مانغونو بأنّ المقصود بالحجاج هو :" تحليل التقنية التي بواسطتها يعلّل متكلّم ما مزاعمه أمام مخاطب ما و الذي يضع هذه المزاعم محل الشك " [3]

و يعتبر الحجاج أيضا مجالا من مجالات التداولية إذ يرتبط مفهومه بالأفعال اللغوية و في هذا المجال يعرّفه " ماس" بكونه :" سياق من الفعل اللغوي تعرض فيه الفرضيات أو مقدّمات و ادّعاءات مختلف في شأنها هذه الفرضيات المقدّمة في الموقف الحجاجي هي مشكل الفعل اللغوي " [4]

و قد شهد الحجاج صحوة نوعية عند ظهور ما يسمى بالبلاغة الجديدة عند كل من بيرلمان و تيتيكاه في كتابهما المعنون بـ " المصنف في الحجاج الخطابة الجديدة " حيث يحدّدان مفهوم الحجاج بقولهما : " إنّ موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم " [5] و في موضع آخر يبيّنان الغاية منه فيقولان : " غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو تزيد في درجة ذلك الإذعان ، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها عمد السامعين بشكل يبعثهم على العمل

3- طه عبد الرحمن : اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء ، ط1 1998، ص213.

[4] - عبد الهادي بن ظافر الشهري : إستراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدّة بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004، ص456.

[5]- dominique maingueneau : aborder la linguistique , éditions du seuil , collection memo , paris ,1996, p46.

[6]- محمد العبد : النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة الفصول ، ع6 ، 2002، ص44.

- [5] Chain Perleman & Lucie Albrechts Tycia, traité de l'argumentation la nouvelle ohétorique l'université de Bruscelles, 5 Edition, p 05.

المطلوب (الإنجاز أو الإمساك عنه) أو هو ما يوافق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة " [1] .

فالحجاج عندهما كما يرى عبد الله صولة حرية ومعقولية و هو من أجل حصول التسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطية و اللامعقول اللّذين يطبعان الخطابة عادة و بعيدا عن الإلزام و الاضطرار اللّذين يطبعان الجدل ومعنى ذلك أنّ الحجاج عكس العنف بكلّ مظاهره .[2]

و ما يجدر الإشارة إليه أيضا الحجاج عند اللغوي الفرنسي " أزفالد ديكرو" الذي يفرّق بين معنيين للفظ الحجاج المعنى العادي و المعنى الفني أو الاصطلاحي [3]، الحجاج بالمعنى العادي يعني طريقة عرض الحجج و تقديمها يستهدف التأثير في السامع فيكون بذلك الخطاب ناجعا فعّالا غير أنّه ليس معيارا كافيا إذ يجب ألّا تهمل طبيعة السامع أو المستقبل المستهدف من هذا الحجاج ، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع و مدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة في إقناعه . أمّا الحجاج بالمعنى الفني فيدلّ على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب و المدرجة في اللّسان ضمن المحتويات الدلالية .

و لقد أشار ديكرو في كتابه المشترك مع " أنسكومبر" المعنون بـ" الحجاج في اللغة " إلى أنّ الحجاج يكمن داخل اللغة دون سواها ، حيث تهتم بالوسائل اللّغوية وبإمكانات اللّغات الطبيعية التي يتوفّر عليها المتكلّم و ذلك بقصد توجيه خطابه وجهة تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية حيث يقول :" يقوم المتكلّم بفعل الحجاج عندما يقدّم قولا (ق1) أو مجموعة الأقوال يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة أقوال أخرى " [4] ، و في موضع آخر يقول :" عندما نتحدّث عن الحجاج نرجع دائما إلى خطاب مركّب

---

[1] - ibid , p59.

[2] - عبد الله صولة : الحجاج أطره و منطلقاته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان و تيتيكاه ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود جامعة الآداب و العلوم الإنسانية ، كلية الآداب ، منوبة ، تونس ، دط ، دت ،ص 298.

10- صابر حباشة : التداولية و الحجاج ، مداخل و نصوص ، صفحات للطباعة و سوريا ، ط1 ، 2008 ص21.

[4] - Jean Claude Anscombre et Osmald Ducrot m l'argumentation dans la langue, Pierre Mardaga, éditeur, Brusceelle, 1983, p 08

على الأقل من (ق1) يعطي أحدهما للتصريح و التدليل على القول الآخر باعتبار (ق1) حجة و(ق2) نتيجة "[1]

نلمح من خلال هذه التعاريف الاصطلاحية للحجاج أنّها تشترك جميعا في كونه يقوم أساسا على طرفين أساسيين في الخطاب هما المرسل و المرسل إليه و أنّ الدور الكبير في هذه العملية يعود إلى المرسل نظرا لما يبذله من جهود ذهنية للحصول على حجج مقنعة و عليه أن يكون بارعا في اختيارها لتفاوتها في درجات الإقناع ، و بذلك نخلص إلى أنّ:

- الحجاج يعتمد على تقديم عدد كبير من الحجج المختارة بعناية لتترك أثرها في المتلقي
- الحجاج يهدف إلى استمالة المتلقي عن طريق إحداث التأثير العملي الذي يمهدّ له التأثير الذهني
- الحجاج يتعلّق بالخطاب الطبيعي
- مجال الحجاج هو الاحتمال و ليس اليقين .

و من المؤكد أن ليس كل خطاب بالضرورة خطابا حجاجيا يهدف إلى الإقناع أو التأثير في المتلقي ، فهناك بعض الخطابات لا يشكل الحجاج هدفها الأساسي أو المباشر ، فالخطاب اليومي الذي يجريه الناس فيما بينهم قد يكون من أجل التعارف أو نقل المعلومات أو تبادلها أو تقديم معطيات ، و لا يكون من أهدافه سوق حجة أو الاستدلال على موقف أو الدفاع عن أطروحة أو حمل الآخر على الإذعان أو دفعه إلى القيام بعمل ، و هذا ما يؤكده " بلاتين" في قوله : " من التسرّع الاعتقاد أنّ الخطاب يكون لغاية حجاجية فقط ، فهناك كثير من الأقوال نستعملها في شكل عمليات غير حجاجية " [2]

أمّا طه عبد الرحمن فيميزّ بين الخطاب الحجاجي و باقي الخطابات الأخرى بـ" كونه خطابا مبنيا و موجها و هادفا مبنيا بناءً استدلاليا يتم فيه اللّجوء إلى الحجة و الاستدلال و المنطق و العقل و موجّها مسبقا بظروف تداولية تدعو إليها إكراهات قولية أو اجتماعية أو ثقافية أو علمية أو عملية أو سياسية ، تتطلّب الدفاع عن الرأي أو الانتصار لفكرة

[1] - ibid , p11.

[2] - عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج " افريقيا الشرق المغرب، ط2، 2012، ص128.

أو تتطلّب نقاشا حجاجيا يلامس الحياة الاجتماعية أو المؤساستية بهدف تعديل فكرة أو نقد أطروحة أو جلب اعتقاد أو دفع انتقاد.[1]

بعد عرضنا لمفهوم الحجاج لابدّ من الوقوف عند أهم الآليات و التقنيات الحجاجية التي اعتمدها عبد الحميد الكاتب لغرض إقناع الكُتَّاب و التأثير فيهم

2- آليات الحجاج :

يعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة تكون مطواعة حسب استعمال المرسل لها ، إذ يختار حججه و طريقة بنائها بما يتناسب مع السياق الذي يحيط بخطابه .

ويمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى :[2]

الآليات اللّغوية الصرفة : مثل ألفاظ التعليل بما فيها المفعول لأجله و الوصل السببي و التركيب الشرطي و كذلك الأفعال اللّغوية و حروف العطف .

الآليات البلاغية : مثل الاستعارة و التمثيل و البديع

الآليات شبه المنطقية : يجسدّها السّلم الحجاجي بأدواته و آلياته اللغوية مثل الروابط الحجاجية ، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية كالتعدية بأفعل التفضيل و صيغ المبالغة .

و سنقتصر على آليتين بارزتين في الرسالة و هما الآليات اللغوية و البلاغية

2-1- الآليات اللّغوية :

أ- ألفاظ التعليل : تعدّ ألفاظ التعليل من الأدوات اللّغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي و بناء حججه فيه فتعينه على تبرير أقواله و أفعاله مثل المفعول لأجله ، التراكيب الشرطية التي تندرج ضمن التعليل السببي ، الربط أو الوصل السببي .

فمن أدوات التعليل التي يستخدمها المحاجج لتبرير أفعاله و أقواله الوصل السببي وهو أن يعمد المرسل إلى الربط بين أحداث متتابعة كالربط بين المقدّمة و النتيجة وذلك مثلما ورد في رسالة " إلى الكتّاب"

يقول عبد الحميد الكاتب : " **و ليحذر السقطة و الزّلة و الملل عند تغيّر الحال فإنّ العيب إليكم معشر الكتّاب أسرع منه إلى القرّاء وهو لكم أفسد منه لهم** "

---

[1]- طه عبد الرحمن : اللسان أو الميزان أو التكوثر العقلي ، المرجع السابق ، ص226.

[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري : إستراتيجيات الخطاب ، المرجع السابق ، ص487.

فظهور العيب في الكُتّاب أسرع منه إلى القرّاء هي مقدّمة حجاجية لنتيجة ضمنية مفادها فقدانهم لمكانتهم وسط القراء و بما أنّ فقدان المكانة نتيجة لسرعة ظهور العيب فهم فإنّه يصبح مقدّمة لحصول المذلّة و المفسدة وعليه فإنّ الوصل بين المقدّمة الأصل و النتيجة هو وصل تتابعي بين سرعة ظهور العيب في الكُتاب بوصفها العلّة الأساس و حصول المذلّة و المفسدة بوصفه نتيجة له ، لذا يجب على الكُتاب من وجهة نظر عبد الحميد الكاتب تجنّب كل ما يوقعهم في السّقطة و الزّلة و الملل .

كما يعدّ المفعول لأجله من ألفاظ التعليل بوصفه المصدر الذي يبيّن علّة ما قبله فيستخدمه المرسل لإقناع المرسل إليه بالسبب الذي من أجله وقع الفعل . ففي قوله : " **و ليضرع إلى الله في صلة توفيقه و إمداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه و عقله و أدبه** " يريد عبد الحميد الكاتب أن يقنع الكُتاب بضرورة اللّجوء و التّضرّع إلى الله في إمدادهم التوفيق و السّداد لذلك أورد حجته التي تبرّر دعوته و هي " **مخافة الوقوع في الغلط المضر بالبدن و العقل والأدب** " مستخدما لفظا تعليليا و المتمثّل في المفعول لأجله " **مخافة**" .

و قد يرد التعليل السببي في التراكيب الشرطية التي تقوم على الاقتضاء و مأتى الاقتضاء في الشرط أنّه آت من قيام الجملة الشرطية على التلازم و التعلّق السببي بين الشرط وجوابه أي " أنّ الشرط يستوجب ضرورة الجواب وهو في الآن ذاته مسبّب لهذا الجواب أي أنّ سبب لنتيجة هي الجواب "[1] و يبيّن النّحاة القدامى أنّ جملة الشرط سبب في جملة الجواب ، ولذا لا يستغني المسبب عن سببه قال ابن الجني :" وذلك أنّ حقيقة الشرط و جوابه أن يكون الثاني مسببا عن الأوّل (نحو قوله إن زرتني أكرمتك فالكرامة مسببة عن الزّيارة) "[2]

فهاهو عبد الحميد الكاتب يجعل من ابتلاء أحد الكُتاب بنائبة أو مصيبة حجة أو مقدّمة تقتضي النتيجة الآتية : " و هي عطف زملائه عليه و مؤاساته " كما يجعل من عجز أحدهم عند الكبر سببا في عدم تخلي زملائه عنه و زيارته و مشاورته واستظهار فضل تجربته مستخدما تركيبين شرطيين يقومان على تعلّق سببي بين الشرط وجوابه و

---

[16]- سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهبية إلى القرن الثاني للهجرة ، بنيته و أساليبه عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2005.

[17]- أبو الفتح عثمان بن الجني : الخصائص ن تحقيق ، محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت ، ج3 ، ص175.

ذلك في قوله " **و إن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وآسوه حتى يرجع إليه حاله و يثوب إليه أمره و إن أقعد أحدا منكم الكبر فزوروه وعظّموه و شاوروه و استظهروا فضل تجربته و قديم معرفته** "

كما أن التعليل السببي في التركيب الشرطي يساعد في توليد حجة أو حجج ذات صلة بالحجة الأولى ، فيكون هناك ربطا بين المقدّمة و النتيجة بالانتقال من إحداهما إلى الأخرى ، وهو ما سماه برلمان بالحجة التداولية وهي كما أوردها الشهري الحجة التي تمنح فرصة التقويم لعمل أو حدث ، وذلك بالنظر إلى تتابعاتها المرغوبة أو غير المرغوبة ، ولهذا فإنّ الحجة التداولية تضطلع بدور في تثمين الأعمال بل يتجاوز المرسل بها إلى توجيه السلوك و الفعل المستقبلي [1] يقول عبد الحميد الكاتب في رسالته : " **و إذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلائقه فإذا عرف حسنها وقبحها أعانه على ما يو افقه من الحسن و احتال على صرفه عمّا يهواه من القبح**"

فمصاحبة أحد الكتاب رجلا هو مقدّمة للنتيجة التي هي " اختبار خلائقه و معرفة حسنها و قبحها " لتصبح بدورها مقدّمة للنتيجة التي بعدها و هي" إعانته على ما يوافقه من الحسن وصرفه عمّا يهواه من القبح "

و يمكن بناءً على هذا التسلسل الشرطي الربط بين أوّل مقدّمة و آخر نتيجة في الخطاب فيصبح مصاحبة رجل مقدّمة لإعانته على التحلي بالخلق الحسن و إبعاده عن كل خلق رذيل قبيح .

ب – حروف العطف :

من حروف العطف التي تستخدم حجاجيا الواو و ذلك بترتيبه للحجج ووصل بعضها ببعض بل و تقوي كل حجة منها الأخرى [2] يقول عبد الحميد الكاتب في رسالته : " **فتنافسوا يا معشر الكُتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين و ابدأوا بعلم كتاب الله عزوجل و الفرائض و اروا الأشعار و اعرفوا غريبها و معانيها و أيام العرب و أحاديثها و سيرها** " يحث الكاتب في قوله هذا الكُتاب على ضرورة امتلاك ثقافة عربية و إسلامية و تاريخية وهي النتيجة الضمنية التي يروم الكاتب تحقيقها فهم مستخدما الحجج الآتية التي تعينهم على أداء مهنتهم واصلا بينها برابط حجاجي و هو الواو :

الحجة الأولى (ح1) : التنافس في صنوف الآداب

---

[1] - عبد الهادي بن ظافر الشهري : المرجع السابق ، ص 481.

[2] - المرجع نفسه ، ص 472

الحجة الثانية (ح2) : التفقّه في الدين

الحجة الثالثة (ح3) : البدء بعلم كتاب الله عزّ وجل و الفرائض

الحجة الرابعة (ح4) : رواية الأشعار و معرفة أيام العرب و تاريخها و سيرها

و في قوله :**" والكاتب بفضل أدبه وشريف صنعه ولطيف حيلته ومعاملته لمن يجاوره من الناس ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا إلاّ بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب "**

نجد الرابط الحجاجي الواو قام بالوصل بين الحجج و ترتيبها لتقوية النتيجة المطروحة و دعمها و هي : " الكاتب أولى بالرفق لصاحبه الذي يحاوره و يناظره من سائس البهيمة " و تتمثل هذه الحجج فيما يلي :

الحجة الأولى (ح1) : أدبه

الحجة الثانية (ح2) : شريف صنعه

الحجة الثالثة (ح3) : لطيف حيلته

الحجة الرابعة (ح4) : معاملته لمن يحاوره من الناس و يفهم عنه و يخاف سطوته .

ج- الفعل اللغوي :

ظهرت فكرة الحجاج من داخل نظرية أفعال الكلام حين قدّم أوستين كتابا حول نظرية أفعال اللغوية العامة حاول فيه ربط الكلام بالفعل باعتبار أنّ الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط بل إنجاز حدث اجتماعي معيّن في الوقت نفسه [1] ففي حال تكلّمنا ننجز شيئا ما أي أمرا ما يكون أوسع من مجرّد التكلّم و ما نعنيه عادة بقولنا إنّنا نفعل شيئا ما متى صغنا عبارة معيّنة هو أنّنا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي كأن نعد وعدا ما و نطلب و ننصح . [2]

و حول تقسيم أوستين للفعل الكلامي تقول آن روبول :" يميّز أوستين بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية : العمل الأول وهو العمل القولي و هو العمل الذي يتحقّق ما إن نتلفظ بشيء ما ، أمّا الثاني فهو العمل المتضمن في القول و هو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا

---

[20]- فان دايك " علم النص : مدخل متداخل الاختصاصات " ترجمة : محمد سعيد البحري، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص 18

[21]- فان دايك " النص والسياق : استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي " ترجمة : عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق، المغرب، دط، د ت ، ص263

ما ، أمّا الثالث فهو عمل التأثير بالقول و هو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما "
[1]

يؤكد هذا القول حقيقة مفادها أنّ الكلام يتضمّن فعلا حجاجيا و يكون ناتجا عن العلاقة التلازمية أو الاقتضائية بين أفعال الكلام ، فالفعل الأول هو فعل الكلام ، والثاني هو قوّة فعل الكلام الذي يتبع الأوّل لكنّه يكتسب قوته من الإثباتات التي يحتويها الفعل و التي تعتبر حجة ، والثالث لازم فعل الكلام و هو الأثر الناتج عن المراحل السابقة الذي يجسّد الغرض التداولي من الكلام و المتمثل في التأثير.

إذا عدنا إلى رسالة " عبد الحميد الكاتب " نجده اعتمد فعلا لغويا بارزا و هو **" الأمر"** ، و يعدّ الأمر من الأفعال الإنجازية يندرج ضمن أفعال التنفيذ التي تسمح بإصدار الأحكام ، كما يندرج ضمن أفعال التوجيه التي تتمثل في دعوة المستمع إلى فعل شيء ما ينتج عنه تغيير في سلوكه ، فهدفه توجيه المتلقي إلى سلوك معيّن .

و قد استخدم الأمر كوسيلة لغوية حجاجية الغرض منه إقناع الكُتّاب و حملهم على الإذعان لنصائحه و توجيهاته التي تنفعهم في حياتهم نظرا لخطورة مهنتهم و قوّة تأثيرها في الحياة .

و من أمثلة ذلك قوله : " **أجيدوا الخطّ فإنّه حلية كتبكم "** ينجز عبد الحميد الكاتب في قوله " **أجيدوا الخط"** فعلا قوليا و المتمثل في نطقه بالجملة الأمرية ، وفعلا متضمنا في القول و المتمثّل في حثّ الكتّاب على إجادة الخط ، و الفعل الناتج عن القول هو **إقناعهم بذلك** مستخدما الحجة الآتية : **"إنّه حلية كتبكم"**

وفي قوله : " **و اروا الأشعار و اعرفوا غريبها و معانيها و أيام العرب و العجم وأحاديثها و سيرها فإنّ ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم "** ينجز فعلين لغويين هما " اروا" و " اعرفوا" و الفعل التأثيري الناتج عنهما هو إقناعهم برواية الأشعار و معرفة الغريب منها و معرفة معارك وحروب العرب و سيرهم داعما ذلك بالحجة الآتية :" فإنّ ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم " لأنّ قيام الكُتاب بذلك يساعدهم على إثراء رصيدهم اللّغوي و المعرفي .

[1]- آن روبول وجاك موشلر " التداولية اليوم علم جديد في التواصل " ترجمة : سيف الدين غفوس، محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة ، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 64.

وفي قوله : " **ارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنّيها ودنّيها ومساوئ الأمور ومحاقرها فإنّها مذلّة للرّقاب مفسدة للكُتاب و نزّهوا صناعتكم عن الدناءة و اربأوا بأنفسكم عن السّعاية و النميمة** "

نجد ثلاثة أفعال أمرية و المتمثلة في :

- ارغبوا بأنفسكم عن المطامع
- نزّهوا صناعتكم عن الدناءة
- اربأوا بأنفسكم عن السعاية (السعاية بمعنى الوشاية) و النميمة

الغرض الحجاجي منها تحذير الكُتاب من الاتصاف بقبيح الأخلاق ، فدعاهم إلى الابتعاد عن المطامع و الوشاية و النميمة لأنها مفسدة لهم و منقصة لقدرهم و هي الحجة التي وردت في قوله " **فإنّها مذلّة للرقاب و مفسدة للكُتاب** " .

و ما نلاحظه أنّ عبد الحميد الكاتب و هو ينجز أفعاله اللّغوية يتبعها دائما بحجة تؤيد الفعل التأثيري الناتج عن القول و هو الإقناع و الحمل على الإذعان .

بعد عرضنا لأهم الآليات اللغوية التي استخدمها عبد الحميد الكاتب لغرض الإقناع سننقل إلى إبراز الآليات البلاغية التي اعتمدها لتحقيق نفس الغرض.

2-2 – الآليات البلاغية :

لمّا كان مجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكّد و المتوقّع ، فقد كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقويّ طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية و البيانية التي تظهر المعنى بطريقة أحلى و أوقع في النفس ، فيتمّ عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة إقناعية لا جمالية ، يقول صابر حباشة : " **إنّ محسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النّظر يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة وعلى العكس من ذلك فإن لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب فإنّ المحسّن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة أي باعتباره محسّن أسلوب ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع**" [1] .

أ- البيان :

[1]- صابر حباشة : المرجع السابق ، ص51.

1- الاستعارة : تعدّ الاستعارة مركز الحجاج و أهم آلياته البلاغية نظرا لما تحققه من نتائج إيجابية في تقريب المعنى إلى ذهن القارئ و هذا ما عبّر عنه طه عبد الرحمن لمّا قال : **" العلاقة الاستعارية هي أدلّ ضروب المجاز على ماهية الحجاج "** [1]

و من الاستعارات الواردة في رسالة " إلى الكُتّاب" قول صاحبها :**" العلم معين لكم"** وهي استعارة مكنية استخدمها عبد الحميد الكاتب لهدف إقناعي و هو أهمية طلب العلم و الاستزادة منه قدر المستطاع لأنّه معين و مساعد فشبّهه بالإنسان لتقريب هذا المعنى إلى أذهان الكُتّاب .

و كذا في قوله : " **العيب إليكم أسرع من القرّاء** " استعارة مكنية استعملها كوسيلة حجاجية لتخدم النتيجة الآتية : " ضرورة الابتعاد عن كلّ ما ينقص من قيمتهم و قدرهم " فشبّه العيب بإنسان سريع الوصول لإيضاح المعنى و تشخيصه .

2- التشبيه و الكناية :

إلى جانب الاستعارة نجد التشبيه والكناية اللّذين يسهمان أيضا في عملية الإقناع " لكنّ كفاءتهما في التأثير أدنى من الاستعارة غالبا " [2]

و من أمثلة التشبيه الواردة في الرسالة يقول عبد الحميد الكاتب : **" أمّا بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة "**

فالكاتب هنا يصف الكُتَاب بأهل صناعة الكتابة مشبّها الصناعة بالكتابة باعتبارها صناعة كباقي الصناعات تتطلب جهدا و تفان و إتقان و هو تشبيه بليغ قد استخدمه لغرض حجاجي لا لغرض الزخرفة و التنميق و المتمثل في ضرورة " بذل الكُتاب الجهد للارتقاء بفن الكتابة و تجويدها "

و من أمثلة الكناية قوله : **" يعرف بغريزة عقله و فضل تجربته ما يرد قبل وروده و عاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره "** فالكاتب ليبرز قدرة الكّتاب على اكتشاف خبايا الأمور و باطنها استخدم الحجتين الآتيتين :

الحجة الأولى (ح1) : غريزة العقل و هي كناية عن الذكاء و الفطنة

الحجة الثانية (ح2) : فضل التجربة و هي كناية عن الخبرة الواسعة

فالكناية هنا آلية بلاغية استخدمها الكاتب لغرض حجاجي

---

[1]- طه عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص233.

[2]- صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1992 ، ص146.

و ليبيّن الكاتب أهمية اعتناء الكُتاب بعملهم استخدم الكناية الآتية كحجة تخدم ذلك في قوله : **" فيعدّ لكل أمر عدّته و عتاده و يهيئ لكل وجه هيئته و عادته "** وهي كناية عن شدّة الاهتمام بالعمل .

ب-البديع :

يستعمل المرسل أشكالا لغوية تصنّف بأنها أشكال تنتمي إلى المستوى البديعي لا يقتصر دورها عند الوظيفة الشكلية بل لها دور حجاجي يهدف إلى الإقناع [1] يقول طه عبد الرحمن : **" و إذا أدركنا أنّ الآليات القياسية التي تتحكم في بناء الخطاب الطبيعي تقوم في عمليات التفريق و الإثبات والإلحاق و أنّ هذه الآليات الاحتجاجية هدفها الإفهام تبيّنا أن أساليب البيان مثل المقابلة و الجناس و الطباق و غيرها ليست اصطناعا للتحسين و البديع و إنّما هي أساليب للإبلاغ و التبليغ "** [2]

1- الطباق :

يقول عبد الحميد الكاتب : **" نظر في كلّ فن من فنون العلم فأحكمه و إن لم يحكمه أخذ منه بمقدار ما يكتفي به "** ليحتج الكاتب عن عدم قدرة الكُتاب على الإلمام بكل صنوف العلم لأنّ بحر العلم واسع استخدم طباق السلب في قوله " **فأحكمه ولم يحكمه** " – الهاء هنا عائدة على العلم – كآلية بلاغية حجاجية تدعم ذلك .

2- المقابلة :

و ذلك في قوله : **" أن يكون مقداما في موضع الإقدام و محجما في موضع الإحجام "** استعمل المقابلة بين الكلمات الآتية : مقدام ≠ محجم ، الإقدام ≠ الإحجام لغرض حجاجي مفاده " أن يحسن الكُتاب التصرّف"

3- السجع :

لم يوظّف الكاتب السّجع في قوله :**" أن يكون حليما في موضع الحلم ، فهيما في موضع الحكم ، مقداما في موضع الإقدام ، محجما في موضع الإحجام "** لإطراب الكُتاب

---

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري : المرجع السابق ، ص497.

[27]- طه عبد الرحمن : مراتب الحجاج و قياس التمثيل ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المغرب ، ع9 ص 18.

بجرسه الموسيقي بل وظّفه لغرض حجاجي و هو إثارة انتباههم لأهمّ الخلال التي ينبغي التّحلي بها نظرا لخطورة المهمة الملقاة على عاتقهم .

فالبلاغة إذا تلعب دورا فعالا في الحجاج ، فهي تعتبر مكونا أساسيا في إقناع المرسل إليه و بالتالي تقريب المسافة بينه و بين المرسل هذا الأخير الذي يتّخذ من البلاغة وسيلة لتحقيق أهدافه و مقاصده الحجاجية .

الخاتمة :

من خلال تطبيق آليات الحجاج اللغوية و البلاغية توصلنا إلى أن رسالة " إلى الكتّاب" محمّلة بطاقة حجاجية هائلة باعتبارها رسالة توجيه صبّ فيها عبد الحميد الكاتب جمّ اهتمامه على إبراز منزلة الكُتاب و شرف صناعة الكتابة مظهرا كبير حرصه على هذه الفئة التي تلعب دورا كبيرا في تسيير أمور الدولة في العصر الأموي لذا تضمنت رسالته مجموعة من النصائح و التوجيهات الغرض منها إقناعهم بالامتثال بها لأنها تعينهم على أداء مهتهم و تكفل لهم النبوغ في عملهم ، وبذلك نكون قد أنجزنا دراسة تحليلية حجاجية لهذه الرسالة حاولنا من خلالها استجلاء بعدها الحجاجي و الإقناعي حتى نضع بين يدي الباحث نموذجا تطبيقيا يهتدي بها في مقاربته للخطاب الأدبي من زاوية حجاجية .